حضور اللغة العربية في الشعر الجزائري الحديث

The presence of the Arabic language in modern Algerian poetry

دفاس هجيرة[1]*، خلاف مسعودة[2]

[1] جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل (الجزائر)، مخبر اللغة وتحليل الخطاب، hadjira.deffas@univ-jijel.dz

[2]جامعة محمد لمين دباغين- سطيف 02 (الجزائر)، schkellaf@yahoo.fr

Deffas Hadjira[1], chkellaf Masouda[2]

[1] Université Mohammed Seddik Benyahia de Jijel(Agira), Laboratory of Language and DiscourseAnalysis, hadjira.deffas@univ-jijel.dz

2 Université Mohamed Lamine Debaghine - Sétif(Agira), schkellaf@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2026/09/28 تاريخ القبول:2026/10/29 تاريخ النشر:2026/10/31

ملخص:

يسعى هذا المقال للكشف عن الدور الذي أداه الشاعر الجزائري الحديث في الدفاع عن "اللغة العربية" في الجزائر، ودعوته لتعلمها؛ إذ اتخذ من شعره سلاحا ينافح به عنها ضد الاحتلال الفرنسي، الذي حاول القضاء على "اللغة العربية"، وجعلها غريبة بين أهلها وأبنائها؛ فمنع تعليمها وتعلمها، و لم يتوان الشاعر الجزائري الحديث في مقاومته لفكرة الإدماج، والتي مفادها إلحاق الشعب الجزائري بفرنسا، وفي المقابل قام بتوعية شعبه بخطورة ذلك، و لم يتوقف دفاع الشاعر الجزائري الحديث "عن اللغة العربية" ضد الاحتلال فقط، بل دافع عنها حتى ضد بعض أبنائها وأهلها، الذين اتهموها بالعجز والعقم، فتنكروا لها وتخلوا عنها، فبرأها مما رميت به، وحذر من عواقب تضييعها، وشدد على ضرورة التمسك بها.

إن دفاع الشاعر الجزائري الحديث عن "اللغة العربية" نابع عن حبه للغته، وشعوره بواجبه نحو لغته وشعبه؛ فهي لغة دينه وهويته.

الكلمات المفتاحية :اللغة العربية، الفصحى، اللسان، الشاعر الجزائري، الشعر الجزائري الحديث.

Abstract:

This article seeks to reveal the roleplayed by the modern Algerian poet in defending the Arabiclanguage in Algeria and his call to learnit. He used his poetry as a weapon to defenditagainst the French occupation, whichsought to eliminate the Arabiclanguage and makeit a strangeramongitsown people and children. It preventeditsteaching and learning, and the modern Algerian poetdid not hesitate in his resistance to the idea of integration, whichmeantannexing the Algerian people to France. In contrast, he sought to raise his people'sawareness of the danger of this policy. The modern Algerian poet'sdefense of the Arabiclanguagewas not limited to opposing the occupation;rather, he alsodefendeditagainstsome of itsown sons and people whoaccusedit of weakness and sterility. Thus, he refutedthese accusations, warned of the consequences of abandoningit, and emphasized the necessity of adhering to it.

The modern Algerian poet'sdefense of the Arabiclanguage stems from his love for his language and his sense of dutytowardboth his language and his people. It is the language of his religion and identity.

Keywords: Arabiclanguage, ClassicalArabic, tongue, Algerian poet, modern Algerian poetry.

*المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

إنّ الحديث عن "اللّغة العربيّة " له سمّة خاصة، ويزداد الحديث أكثر خصوصيّة وتميزا عندما يكون عن "اللّغة العربيّة " في الجزائر تحديدا؛ ففي الجزائر عرفت "اللّغة العربيّة " وضعا استثنائيا مقارنة بباقي الدول العربيّة، بسبب "السياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا في الجزائر" (الطمار ، 1983، صفحة 267)، وطال أمدها، فكان أثرها بيّنًا في واقع "اللّغة العربيّة "–ومازالت مخلفات تلك السياسة ممتدّة إلى اليوم–لكن بالرغم من كل ما واجهته "اللّغة العربيّة " في الجزائر من قبل الاحتلال، فقد بقيت صامدة صمود أبنائها، الذين بدلوا جهدهم، وضحوا بالنفس والنفيس من أجل الحفاظ عليها، وعملوا بجد في سبيل تعليمها ونشرها، وتوسيع دائرة استعمالها، لتأخذ مكانتها التي هي أهل لها، ومن بين هؤلاء الأبناء الشاعر الجزائري الحديث، الذي اتخذ من شعره سلاحا يدافع به عن "اللغة العربية "، ومنبرا يدعو من خلاله إلى الاهتمام والتمسك بها.

اتخذ الشاعر الجزائري الحديث "اللغة العربية " موضوعا لشعره وقصائده الشعرية؛ فتغنّى بجمال بلاغتها وروعة بيانها، وبيّن عراقة تاريخها وأصالة حضارتها، كما تحدّث عن واقعها المرير؛ إذ ندّد بالحال الذي آلت إليه، وفنّد المزاعم وكذّب الادعاءات، ودعا شعبه لتعلم "اللّغة العربيّة ".

2. الدعوة إلى تعلم "اللغة العربية " وإتقانها:

دعا الشاعر الجزائري الحديث الشعب الجزائري إلى تعلم . "اللغة العربية "، والسعي من أجل إجادتها والتمكن من ناصيتها، وهذا ما دعا إليه رائد الشعر الجزائري الحديث، الشاعر "محمد العيد آل خليفة "، في قصيدته الشعرية (الثورة العظمى كسبنا نصرها)؛ في قوله: (آل خليفة، 2010، صفحة 220)

وتَعَلَّمُوا فُصـــحَى اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا عُلْوِيَّةُ الأَســـرَارِ وَالأَنْغَامِ

يدعو الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في هذا البيت الشعري، النشء وطلاب الجزائر إلى ضرورة تعلم "اللّغة العربيّة "، التي عدها أفصح اللّغات وأبينها، وهذا في قوله:(وتَعَلَّمُوا فُصْحَى اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا)؛ إنّها اللّغة الراقية التي تعتلي قمة البيان بين سائر اللّغات، ف "اللّغة العربيّة " لغة عالية في أسرارها الدقيقة؛ إذ تمتاز ب "الدّقة في التّعبير والإعراب عن الجليل والدقيق من المعاني بألفاظ محدّدة"(العزاوي، 2004، صفحة 40) وهي أيضا لغة ذات جرس ونغم شاعري، يكون له وقعه المؤثر في النفس، وهذا ما بينه الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في قوله: (عُلْوِيَّةُ الأَسْرَارِ وَالأَنْغَامِ)، وبهذا تتجلى "اللّغة العربيّة " في أبهى صورة، وأعذب صوت وأجمل إيقاع، هذه هي (فصحى اللّغات) التي دعا الشاعر "محمد العيد آل خليفة " إلى تعلمها؛ فمعرفة المتعلم لهذه السمات والخصائص التي تتميز بها "اللّغة العربيّة "، تزيده إصرارا ورغبة في تعلمها، وتبعث في نفسه الفخر والاعتزاز بهذه اللّغة العاليّة.

شحذ الشاعر الجزائري الحديث أيضا، همم الشباب والطلاّب لإتقان "اللّغة العربيّة "، فها هو الشاعر "محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي "في قصيدته الشعرية (كن عالما متيقظا)، التي أوردها "محمد الهادي السنوسي الزاهري " في الجزء الثاني من كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، يرغب في إتقان "اللّغة العربيّة "؛ فيقول: (السنوسي الزاهري، 2007، صفحة 198)

إِنْ أَنْتَ أَتْقَنْتَ اللِّســـَانَ نَجَوْتَ مِنْ غَيِّ الكَلَامِ، وَصـــِرْتَ مِنْ حُذَّاقِ

يحث الشاعر "محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي " في هذا البيت الشعري، الشباب والطلاب على ضرورة إتقان "اللّغة العربيّة "أو "اللسان "، مثلما جاء في قوله: (إِنْ أَنْتَ أَتْقَنْتَ اللِّسَانَ)؛ فإتقان "اللسان "يعني النطق الصحيح والأداء السليم للغة، وقد بين الشاعر "محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي " ما يترتب عن إتقان اللسان فقال: (نَجَوْتَ مِنْ غَيِّ الكَلَامِ, وَصِرْتَ مِنْ حُذَّاقِ)، فإتقان المتكلم للسان يعني تحكمه الجيد في اللّغة؛ فتتحقق له بذلك المهارة في الكلام، ويبتعد عن عيوب النطق وضعف الكلام، بل يتكلم بكل طلاقة وسهولة، ويصبح حاذقا ب "اللسان العربي "، متفنن في أدائه.

في قول الشاعر "محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي "حث وتشجيع للمرء على إتقان "اللّغة العربيّة "، حتى يسعى بكل رغبة وجد من أجل إتقانها؛ فالشاعر يدرك أهميّة إتقان "اللّغة العربيّة "، وهذا ما يؤكده استعماله لأسلوب الترغيب في قوله: (إِنْ أَنْتَ أَتْقَنْتَ اللِّسَانَ نَجَوْتَ)؛ إذ بإتقان "اللّغة العربيّة "يتمكن المرء من اكتساب العلم والمعرفة، والتعبير عن أفكاره وآرائه بكل إيجاز ودقة، كما يمكنه فهم واستيعاب كل ما يسمعه أو يقرؤه بهذه اللّغة، ويمكنه أيضا الاطلاع على مختلف ما دوّن بهذه اللّغة في مختلف العصور، إضافة إلى التأليف والكتابة والإبداع الأدبي، سواء كان شعرا أو نثرا.

لم يتوقف الشاعر الجزائري الحديث عند حدّ الدعوة إلى تعلم "اللّغة العربيّة "، والحث على إتقانها؛ بل سعى لنشرها وتطويرها، وهذا من أجل الحفاظ على "اللّغة العربيّة "، وضمان بقائها، والتطلع لغدٍ أفضل لها، نظرا لما ألمّ بها من إقصاء وتهميش من قبل الاحتلال.

3. "اللغة العربية "والاحتلال:

رصد الشاعر الجزائري الحديث كل ما يتعلق ب "اللّغة العربيّة "، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ إذ تحدّث في قصائده الشعرية، عن واقع "اللّغة العربيّة "في هذه الفترة، ورصد ما عانته من ظلم وقهر وتهجير، فقد عمل المحتل على محاربتها في مختلف الأماكن؛ فأغلق المدارس والمساجد، ومنع تعليمها وتعلمها، ولم يسمح بدخول المنشورات العربية إلى الجزائر، كما قام باضطهاد وقتل رموز "اللغة العربية "من أعلام وأدباء وكتاب في الجزائر، وهذا حتى يحاصر "اللغة العربية "في دارها، إلا أن الشعب الجزائري وفي مقدمتهم الشاعر، قاوم المحتل ودافع عن "اللغة العربية ".

1.3. مقاومة الاحتلال في محاربته "للغة العربية ":

قاوم الشاعر الجزائري الحديث الاحتلال الفرنسي في محاربته "للغة العربية "، التي منع الشعب الجزائري من تعلمها، إلا في حدود ضيقة، وفرض عليهم بدلا منها "اللّغة الفرنسيّة "، وهذا في التعليم والتعامل؛ فكانت لغة السياسة والإدارة والتعليم والتجارة، إلاّ أن الشعب الجزائري رفض أن يقصى عن "لغته العربيّة "؛ فقام يحتج ويطالب باعتبار "اللّغة العربيّة "لغة رسميّة، ولا يريد أي لغة له غيرها، وهذا ما عبّر عنه الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في قصيدته ال (إلى العلم)؛فقال: (آل خليفة، 2010، صفحة 189)

وَنُقْصَى عَنِ الفُصْحَى وَنُلْهَى بِغَيْرِهَا وَلَيْسَ سِوَى الفُصْحَى لِسَانٌ لَنَا(رَسْمِي)

بين الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في هذا البيت الشعري، حقيقة ما فعله الاحتلال ب "اللغة العربية "؛ الذي سعى بشتى الطرق لإقصاء "اللغة العربية "أو "الفصحى "- كما فضل الشاعر تسميتها- من التعليم والتداول في الجزائر، وهذا ما يتضح من قوله: (وَنُقْصَى عَن الفُصْحَى)؛ فقد كان إقصاء "الفصحى " ومحاصرتها من أهم أهداف الاحتلال، وهذا حتى تصبح "اللغة العربية "أو "الفصحى " في الجزائر غريبة عن أهلها، ولا يبقى لها وجود في وطنها الجزائر؛ فيفتح المجال بعدها لإشغال الجزائريين وإلهائهم بغيرها من اللغات، وهو ما بينه الشاعر "محمد العيد آل خليفة "في قوله: (وَنُلْهَى بِغَيْرِهَا)، خاصة "اللغة الفرنسية "والمستوى العامي، "الذي كثيرا ما رغبت السلطات الفرنسية في ركوبه من قبل المثقفين الجزائريين" (حمادي، 2001، صفحة 13)، ومعلوم أن المستوى العامي يتعدد ويختلف من منطقة إلى أخرى، وفي هذا تشتيت لوحدة الجزائريين وتمزيق لشملهم، ولأن الشاعر الجزائري يدرك أهمية اللغة في تمتين الصلة بين قلوب أبنائها، فقد فصل الشاعر "محمد العيد آل خليفة" في الأمر فصلا تاما، ورد على الاحتلال ردا نهائيا، وهذا في قوله: (وَلَيْسَ سِوَى الفُصْحَى لِسَانٌ لَنَا(رَسْمِي))؛فالجزائريون لن يرضوا بأي لغة مهما كانت، إلا "الفصحى "لتكون "اللسان " الرسمي لهم، والممثل لهويتهم، والموحد لشملهم.

إن المتأمل في هذا البيت الشعري، يلحظ بوضوح الحضور البارز لنون جماعة المتكلمين(ن-نا)، التي تكلم الشاعر على لسانها، من مثل قوله: (نقصى، نلهى، لنا)، وفي هذا دلالة على وحدة الشعب الجزائري، وتمسكه بأبرز مقوم من مقومات هويته، وهو "اللغة العربية الفصحى "، كما أن استعمال الشاعر "محمد العيد آل خليفة " لنون جماعة المتكلمين(ن-نا)، يحيل إلى مكانة الشاعر الجزائري بين أبناء وطنه، فهو منهم وهم منه، ورأيه من رأيهم، ورأيهم من رأيه، فهو قلبهم النابض، ولسانهم الناطق.

ذكر الشاعر "محمد العيد آل خليفة "، في هذا البيت الشعري أيضا، لفظ "الفصحى "مرتين، فقد ذكره في المرة الأولى في مقام تبيينه لما يفعله الاحتلال، من إقصاء "للفصحى "وإبعادها عن أهلها، وهذا في صدر البيت الشعري، حيث قال: (وَنُقْصَى عَن الفُصْحَى وَنُلْهَى بِغَيْرِهَا)، أما المرة الثانية فذكره ضمن رده وجوابه لما يدبر له الاحتلال، إذ قال في عجز البيت الشعري: (وَلَيْسَ سِوَى الفُصْحَى لِسَانٌ لَنَا(رَسْمِي))، وفي هذا التكرار تأكيد على تمسك الشاعر "محمد العيد آل خليفة " والشعب الجزائري ب "الفصحى "، وعدم تخليهم عنها مهما دبر المحتل من أمر، ومهما سن من قوانين.

2.3.الشاعر وفكرة الإدماج:

تعتبر "اللغة العربية " لغة الأمة الجزائرية؛ فهي الممثلة لهويتها، والمحددة لانتمائها، كما أنها كما يقول "عبد الله ركيبي ":"المقوم الذي يحفظ شخصيتها الوطنية والقومية معا" (ركيبي، د ت ط، صفحة 19) لهذا كانت "اللغة العربية "الهدف الأول للاحتلال، الذي حاول بكل جهده القضاء عليها ومحو وجودها، لأنه يعلم بأنه بالقضاء على "اللغة العربية "يتم القضاء على كل ما تحمله، من إسلام وعلم وتاريخ وتراث وثقافة وحضارة، وبهذا يتجرد الشعب الجزائري من كل ما من شأنه أن يحدد هويته وأصله ونسبه، وهكذا يسهل على الاحتلال تحقيق أهدافه التي سطرها، وهي فصل الشعب الجزائري عن أمته العربية الإسلامية، وإلحاقه بفرنسا، وجعل الجزائر جزء أو قطعة من فرنسا، وقد صدق بهذا الأمر بعض الجزائريين، وهذا ما أكده "صالح خرفي " في قوله: "وقد وجدت هذه المغالطة التاريخية من يصدقها ويؤيدها من أبناء هذا الوطن، فتحقق للاستعمار بعض أهدافه" (بن عبد الله، 2001، صفحة 34)، إلا أن الجزائريين المخلصين، الذين يدركون النوايا الحقيقية

لفرنسا، رفضوا الأمر رفضا قاطعا، ووقفوا في وجهه سدا منيعا، كما قاموا بتوعية الشعب الجزائري بخطورة ما تدعو إليه فرنسا من إدماج، وكذا حثه على النهوض واليقظة، مستخدمين في ذلك الشعر سلاحا.

لقد قاوم الشعر الجزائري فكرة الإدماج، وفند هذه الفكرة الضالة، ورد على من يؤيدها، وفي مقدمة هذا الشعر، الشعر الخالد الذي قاله رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، "عبد الحميد بن باديس"، الذي خلد موقفه بأبيات شعرية، أبطل فيها مساعي فرنسا، وأعطاها الجواب الكافي؛ فقال: (خرفي، د.س.ط، صفحة 205)

شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ ... وإِلَى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ

مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِه ... أَوْ قَالَ مَاتَ، فَقَدْ كَذِبْ

أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ ... رَامَ المُحَالَ مِنَ الطَلَبْ

أعطى "عبد الحميد بن باديس " بهذه الأبيات الشعرية، درسا بليغا لفرنسا وأتباعها، وأكد لهم أن الشعب الجزائري شعب عربي مسلم، دينه الإسلام و "لغته العربية "، وهذا في قوله: (شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ)، كما بين لهم نسب الشعب الجزائري فقال: (وَإِلَى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ)؛فنسب الشعب الجزائري واضح وجلي وهو العروبة، إن نسبه أعرق الأنساب، ودينه أكمل الأديان، ولغته أفصح اللغات، فهو إذن ليس في حاجة إلى أن ينسب إلى غير نسبه، أو يدين بغير دينه أو يتكلم بلغة غير لغته.

ركز "عبد الحميد بن باديس" على الإسلام والعروبة تحديدا في مفتتح شعره، وهذا تأكيدا منه على هوية الجزائر العربية المسلمة، وردا على المنكرين لوجود الشعب الجزائري؛ فبالعروبة والإسلام تتحدد شخصية الشعب الجزائري، وتتم استقلاليته عن غيره، ومن تم يستحيل على الاحتلال محو شخصية الشعب الجزائري، أو القضاء عليه مهما حاول.

يرد "عبد الحميد بن باديس " في البيت الشعري الثاني، على من قال وادعى أن الشعب الجزائري تخلى وابتعد عن أصله وجذوره، حيث قال: (مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِه)، أو قال أنّه ولى ومات، ولم يعد له وجود، فقوله مردود وادعاؤه باطل وكذب، وهذا في قوله: (أَوْ قَالَ مَاتَ، فَقَدْ كَذِبْ)؛ فالشعب الجزائري مازال موجودا ووفيا لأصله ونسبه، فهو شعب عربي مسلم، له تاريخه وحضارته، التي تميزه وتشهد على أصالته ووجوده.

واصل " عبد الحميد بن باديس " في البيت الشعري الثالث، رده على فرنسا وأتباعها، لكن رده هذه المرة خصصه لمن دبر وسعى لإدماج الشعب الجزائري بفرنسا، وهذا في قوله: (أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ)؛ فمن يهدف ويرمي إلى إدماج الشعب الجزائري بفرنسا، فهو يرمي ويطلب المحال والمستحيل، مثلما بين "عبد الحميد بن باديس "، في قوله: (رَامَ المُحَالَ مِنَ الطَلَبْ)؛ فلا يمكن إدماج الشعب الجزائري بفرنسا، التي تختلف عنه كل الاختلاف ، وتبتعد عنه كل البعد، في أخلاقه

ودينه، وأرضه وتاريخه، ولغته وثقافته، وأصله ونسبه، فهو يرمي ويطلب المحال، فالجزائر ليست فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا، ولن تكون فرنسا، ولو أرادت، كما قال "عبد الحميد بن باديس "*.

حسم "عبد الحميد بن باديس " الأمر حسما نهائيا، بهذه الأبيات الشعرية، وأكد للجميع أن الشعب الجزائري شعب عربي مسلم، له شخصيته المستقلة، ووجوده المميز على أرض وطنه الجزائر، الوطن بمقوماته الأساسية وملامحه المميزة، فيستحيل إذا أن يذوب الشعب الجزائري، أو أن يمحى وجوده من الحياة.

يتبين من موقف "عبد الحميد بن باديس " الصريح والواضح، أنه اللسان الناطق عن الشعب الجزائري، فهو القائد المتقدم، الذي يدافع ويحمي شعبه من خلفه، إذ كان السباق دوما للرد على كل ما يحاك ويدبر له الاحتلال ضد الشعب الجزائري، ولأنه كان يشعر بمسؤوليته اتجاه وطنه وشعبه، فقد قام بتوعية شعبه وإرشاده إلى الطريق الحق، ونشر العلم بين أبنائه، وعلمهم "اللغة العربية "، وهذا كان له دوره في بعث الأمل في نفوس الجزائريين، ووعيهم بحقيقة واقعهم، فنهض الشعب الجزائري وكله عزم وإصرار على تحطيم قيود الظلم والاستبداد، ومقاومة الاحتلال؛ إذ رفض أن تطمس هويته، وأن يدمج بفرنسا، وهذا ما عبر عنه شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكريا " على لسان الشعب الجزائري، قائلا: (مفدي ، 1983، صفحة 105)

فَلَسْـــنَا نَرْضَـــى الامْتِزَاجَا وَلَسْـــنَا نَرْضَـــى التَجْنِيســـَا !

وَلَسْـــنَا نَرْضَـــى الانْدِمَاجَا وَلَا نَرْتَدُّ: فَرَنْســـِيسَـــا!

الشعب الجزائري في هذين البيتين الشعريين، هو من يرد بنفسه على فرنسا، بعدما كان "عبد الحميد بن باديس "- في الأبيات الشعرية السابقة- هو الناطق عنه، وهذا ما يؤكده استعمال الشاعر "مفدي زكريا " لنون جماعة المتكلمين، في قوله:(فَلَسْنَا نَرْضَى، وَلَسْنَا نَرْضَى، وَلَسْنَا نَرْضَى، وَلَا نَرْتَدُّ)، وفي هذا دلالة على تطور مستوى الوعي لدى الشعب الجزائري، وإدراكه لخطورة الإدماج، وفي هذا أيضا تأكيد على وحدة الشعب الجزائري، والتحامه بعضه ببعض، وكذلك التفافه حول أعلامه وأدباءه.

الملاحظ أيضا على هذين البيتين الشعريين، أن الشاعر "مفدي زكريا " قد كرر عبارة (لسنا نرضى) ثلاث مرات؛ مرتين في البيت الشعري الأول، ومرة واحدة في البيت الشعري الثاني؛ إذ استعملها الشاعر في صدر البيت الشعري الأول مقرونة بالفاء(ف)؛ فقال: (فلسنا نرضى)، في حين استعملها موصولة بالواو(و) في عجز البيت الشعري الأول، وصدر البيت الشعري الثاني قائلا: (ولسنا نرضى)، وفي هذا التكرار تأكيد على رفض الشعب الجزائري القاطع، ورده النهائي لكل ما تخطط له فرنسا من (الامتزاج، والتجنيس، والاندماج والفرنسة).

*قال "عبد الحميد بن باديس" في رفضه لفكرة الإدماج: "إن الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وأخلاقها وفي عنصرها وفي دينها. لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري". ينظر: (حمادي، ابن باديس سيرة ومسيرة، 2017، صفحة 197)

رد الشعب الجزائري مفاده أنه يأبى الامتزاج بفرنسا، وهذا ما يتضح من قول الشاعر "مفدي زكريا " على لسان الشعب الجزائري: (فَلَسْنَا نَرْضَى الامْتِزَاجَا)؛ فلا صلة للشعب الجزائري بفرنسا، ولا يريد أن تربطه بها أي علاقة مهما كانت؛ إذ يرفض رفضا قاطعا أن يتجنس بالجنسية الفرنسية، وهذا ما أكده الشاعر "مفدي زكريا " بقوله: (وَلَسْنَا نَرْضَى التَجْنِيسَا!)؛ فالشعب الجزائري لن يتخلى عن جنسيته الجزائرية ليتجنس بالجنسية الفرنسية، كما أنه يرفض الاندماج بفرنسا، ويصبح تابعا لها، وهذا ما بينه الشاعر "مفدي زكريا " بقوله: (وَلَسْنَا نَرْضَى الإِنْدِمَاجَا)؛ فيستحيل أن يلحق الشعب الجزائري بالشعب الفرنسي، فتذوب شخصيته الجزائرية العربية المسلمة، في الشخصية الفرنسية، ويصير فرنسيا، وهذا مالا يرضاه الشعب الجزائري، وهو ما أكده الشاعر "مفدي زكريا " بقوله: (وَلاَ نَرْتَدُّ: فَرَنْسِيسَا !)، ولماذا يفعل الشعب الجزائري ذلك؟ فهو ليس في حاجة ليتجنس بجنسية غيره، وله جنسيته الجزائرية، التي يعتز ويفتخر بها، فيستحيل إذا أن يصير الشعب الجزائري فرنسيا.

لقد تحدث كل من "عبد الحميد بن باديس "، و "محمد العيد آل خليفة " و "مفدي زكريا " عن محاولة الاحتلال القضاء على "اللغة العربية "في الجزائر، وجعلها غريبة بين أهلها ، وفرض بدلا منها "اللغة الفرنسية "، وكذلك محاولته إدماج الشعب الجزائري بفرنسا، وفشله في ذلك، فماذا عن حال "اللغة العربية "مع أهلها؟

4. "اللغة العربية "وأهلها:

لم يقصر الشاعر الجزائري الحديث حديثه الشعري، على رصد محاربة الاحتلال "للغة العربية "في الجزائر، بل تحدث أيضا في قصائده الشعرية عن واقع "اللغة العربية "بين أهلها وأبنائها، فبين كيفية تعاملهم معها، كما رصد وضعها في الاستعمال.

1.4اللغة العربية " في الاستعمال:

تتبع الشاعر الجزائري في أشعاره حال "اللغة العربية "في الاستعمال، وجسد الصورة التي آلت إليها على ألسنة أبنائها، وهذا ما بينه الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " في قصيدته (إلى الشعب الجزائري)، التي ذكرها "محمد الهادي السنوسي الزاهري" في الجزء الأول من كتابه(شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، إذ صور واقع الشعب الجزائري الذي انتشر فيه الجهل والفقر، وكثر فيه الألم والحزن، وساد فيه التفرق والتمزق، هذا الواقع الذي انعكس وتجسد في حال "اللغة العربية "، التي صار يرثى لما آلت إليه على ألسنة أهلها وأبنائها في زمن الشاعر، وهذا ما يتجلى في قوله:(السنوسي الزاهري، 2007، صفحة 110)

هَا هِيَ أُمُّ اللُّغَى تَنْعِى لِمَصْـــرَعِهَا، هَا هِيَ أَلْفَاظُهَا تَبْكِي وَتُبْكِينَا !!..

خَلَطْتُمُوهَا بِأَلْفَاظٍ مُشَـــوَّهَةٍ، وَلَمْ تُقِيمُوا لَهَا يَوْمًا مَوَازِينَا

صَـــارَتْ شَـــبِيهَةَ أَثْوَابٍ مُرَقَّعَةٍ تَضَـــمُّ مِنْ خِرَقٍ طُمْرٍ مَلاَيِينَا

وَصَـــفْتُمُوهَا بِضِـــيقٍ فِي النِّطَاقِ وَقَدْ كُنْتُمْ عَلَى وَصْـــفِكُمْ قَوْمًا مَلُومِينَا

بَلْ هِيَ أُمُّ لُغَاتِ الأَرْضِ أَجْمَعُهَا كُلٌّ لَهَا عِنْدَ ضِـــيقِ اللَّفْظِ يَأْتِينَا

يَا رَبَّةَ الحُسْـــنِ، يَا ذَاتَ الجَمَالِ، ويا مَلِيكَةَ الأَمْرِ، رِفْقًا إِذْ تَلُومِينَا

يتأسف الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " على الحال الذي صارت إليه "اللغة العربية "؛ إذ يشير في البيت الشعري الأول إلى "اللغة العربية "حتى ينتبه من لم ينتبه، ويرى من لم ير "اللغة العربية "وهي تنعى لمصرعها، وهذا في قوله (هَا هِيَ أُمُّ اللُّغَى تَنْعِى لِمَصْرَعِهَا،)، فمن شدة فاجعة وضعها، جعلها هي نفسها من تخبر عن هلاكها، كما يشير الشاعر أيضا إلى وضع ألفاظ "العربية " فيقول:(هَا هِيَ أَلْفَاظُهَا تَبْكِي وَتُبْكِينَا!!..)؛ فألفاظ العربية تبكي وجعا على بؤسها، وتبكي من حولها وأهلها.

إن الملاحظ على هذا البيت الشعري الأول، أن الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " جعل "اللغة العربية " كائن حي، يحيا ويموت، وينعى ويبكي، وقد سمى الشاعر "اللغة العربية "ب(أم اللّغى)، إشارة منه إلى عراقة "اللغة العربية "وأصالتها بين جميع اللغات، ف "اللغة العربية " كما يقول "سعيد أحمد بيومي ": "هي أقدم اللغات الحية زمنا وأطولها عمرا" (بيومي، 2002، صفحة 33)، فهي أم جميع لغات الأرض، وفي هذا دلالة على مكانة وقيمة "اللغة العربية "، وكذا رفعتها بين سائر اللغات؛ فهي بمثابة الشمس بين الكواكب، مثلما ذكر "محمد العيد آل خليفة "في قصيدته الشعرية (لوح الخيال)؛ حيث قال:(آل خليفة، 2010، صفحة 27)

وَتَجلّتْ فُصْـــحَى اللُّغَاتِ كَشَـــمْسٍ فَخَبَا كُلُّ كَوْكَبٍ مُتَلَالِي

شبه الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في هذا البيت الشعري "اللغة العربية " أو فصحى اللغات-كما أثار تسميتها- بالشمس، فقال: (وَتَجلّتْ فُصْحَى اللُّغَاتِ كَشَمْسٍ)؛ فالشمس تحجب بضوئها كل الكواكب المتلألئة، إن هي طلعت، فضوءها أقوى من ضوء بقية الكواكب، وكذلك شأن "اللغة العربية " أو الفصحى مع باقي اللغات، فالفصحى تعلو بسحر بيانها جميع اللغات، فكانت بحق (فصحى اللغات)، كما سماها الشاعر "محمد العيد آل خليفة ".

يتوجه الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " في صدر البيت الشعري الثاني باللوم إلى أهل "اللغة العربية "، حيث يقول: (خَلَطْتُمُوهَا بِأَلْفَاظٍ مُشَوَّهَةٍ،)، فأهل "اللغة العربية " قد ألحقوا بها ألفاظا ليست منها؛ إذ خلطوا "العربية الفصيحة "بألفاظ مشوهة، وفي استعمال الشاعر للفظ (مشوهة)، دلالة على أن هذه الألفاظ ناقصة عن اللحاق بألفاظ "العربية الفصيحة "التامة، فقد ترددت على ألسنة أهل "اللغة العربية"، ألفاظ مشوهة ودخيلة، فصار كلامهم هجينا لغويا من ألفاظ شتى.

يعاتب الشاعر في عجز البيت الشعري الثاني، المتكلمين ب "اللغة العربية " في عصره، فيقول: (وَلَمْ تُقِيمُوا لَهَا يَوْمًا مَوَازِينَا)؛ إذ يلومهم على عدم احترامهم لقواعد "اللغة العربية "، وعدم مراعاتهم لضوابطها التي تحكمها، فهم لم يعطوها يوما حقها من التقدير والاحترام.

يصف الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " في البيت الشعري الثالث، الصورة التي آلت إليها "اللغة العربية "على ألسنة المتكلمين، الذين خلطوها بشتى الألفاظ، و لم يحترموا ضوابطها، فيقول في صدر هذا البيت الشعري: (صَارَتْ شَبِيهَةَ أَثْوَابٍ مُرَقَّعَةٍ)؛ إذ صارت "اللغة العربية "على ألسنة المتكلمين بها في عصر الشاعر، تشبه الأثواب المرقعة، بسبب كثرة الخروق التي ملأت هذه الأثواب، وقد ذكر الشاعر لفظ (ملايينا) كناية عن العدد الهائل من الخروق في الأثواب، وهذا في عجز البيت

الشعري الثالث؛ حيث قال: (تَضُمُّ مِنْ خِرَقٍ طُمْرٍ مَلَاَيِينَا)، وفي هذا دلالة على كثرة الألفاظ الدخيلة، التي غزت "اللغة العربية "، فصارت هجينا لغويا.

يتوجه الشاعر في صدر البيت الشعري الرابع –من هذه الأبيات الشعرية– بقوله إلى قومه، قائلا: (وَصَفْتُمُوهَا بِضِيقٍ فِي النِّطَاقِ وَقَدْ)؛ فالشاعر "محمد اللقاني بن السايح " يذكر قومه بالتهم التي وجهوها "للغة العربية "؛ إذ اتهموها بضعف مخزونها اللفظي ومحدودية مجال استعمالها، إلا أن هذه التهمة لا توجه إلى اللغة بقدر ما توجه إلى من تسبب في تضييق الخناق عليها، وهو الاحتلال، الذي حاصرها وحاربها في عقر دارها، ويؤكد الشاعر في عجز البيت الشعري الرابع، بطلان التهمة، فيقول: (وَقَدْ كُنْتُمْ عَلَى وَصْفِكُمْ قَوْمًا مَلُومِينَا)؛ فالشاعر يلوم قومه على ما وصفوا به لغتهم، إذ سيبقى التاريخ يلومهم ويوبخهم.

بعد أن عرض الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " حال "اللغة العربية "، وبين تهم قومه لها، رد عليهم هذه التهم، ودافع عن "اللغة العربية "، مؤكدا لهم أنها أم جميع لغات الأرض كلها، وهذا في صدر البيت الشعري الخامس؛ حيث قال: (بَلْ هِيَ أُمُّ لُغَاتِ الأَرْضِ أَجْمَعُهَا)، لقد استعمل الشاعر عبارة (أم لغات الأرض)، في هذا البيت الشعري، بعد أن كان قد استعمل في البيت الشعري الأول من هذه الأبيات الشعرية عبارة (أم اللغى)، وفي هذا تأكيد على عراقة "اللغة العربية "، وأصالتها بين جميع اللغات، وإن كان الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " قد وصف "اللغة العربية " بأنها (أم اللغى) أو(أم اللغات)، إذ تفردت بانسجام صوتي وثراء لفظي، وهذا ما بينه الشاعر في عجز البيت الشعري الخامس، فقال: (كُلٌّ لَهَا عِنْدَ ضِيقِ اللَّفْظِ يَأْتِينَا)؛إن غنى "اللغة العربية "وثراءها لفظا ومعنى، جعل كل لغات الأرض ترجع إليها لتقترض ما تحتاجه من ألفاظ، عندما تعجز هذه اللغات عن توفير ما يحتاجه متكلمون بهن، بسبب ضيق مخزونهن اللفظي.

ينادي الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " في البيت الشعري السادس من هذه الأبيات الشعرية، "اللغة العربية "بأكمل الأوصاف وأفضلها، محددا فضلها ومكانتها؛ فهي صاحبة الحسن، وهذا في قوله: (يَا رَبَّةَ الحُسْنِ)، ؛إذ حازت "اللغة العربية " كل فضل من جميع النواحي(صوتا ولفظا ومعنى)، ويواصل الشاعر نداءه "للغة العربية " مخاطبا أيها، قائلا: (يَا ذَاتَ الجَمَالِ)؛ فهي ذات جمال وبهاء يزينها، ويرفع من شأنها ويعلي مقامها، ويعقب مناديا أيها بأنها صاحبة القرار، فيقول: (وَيَا مَلِيكَةَ الأَمْرِ)، بعد هذه النداءات الثلاثة (يَا رَبَّةَ الحُسْنِ، يَا ذَاتَ الجَمَالِ، وَيَا مَلِيكَةَ الأَمْرِ)، يتوجه الشاعر بخطابه إلى "اللغة العربية"، قائلا لها: (رِفْقًا إِذْ تَلُومِينَا)؛ فالشاعر يرجو من "اللغة العربية " أن ترأف وترفق، إن هي عاتبت أهلها، ولامتهم على الحال التي صيروها إليها.

من هذه الأبيات الشعرية يتبين حال "اللغة العربية " أيام زمن الشاعر "محمد اللقاني بن السايح "، الذي أعطى صورة صادقة وحية عن وضع "اللغة العربية "في الاستعمال، كما حدد التهم التي وجهت إليها، فرد التهم ودافع عن "اللغة العربية "، التي تبقى رغم كل هذه التهم، أفضل اللغات وأكملها.

إن الشاعر "محمد اللقاني بن السايح " يدرك قيمة "اللغة العربية "، ويعي مدى أهميتها في حياته وحياة شعبه، لهذا دافع عنها، وبرأها من التهم التي وجهت لها، في الأبيات الشعرية السابقة، بعدما كان قد تأسف على الحال الذي آلت إليه " اللغة العربية "، على ألسنة المتكلمين بها في عصره؛ إذ لامهم على تشويههم "للغة العربية "، واتهامهم لها زورا، كما عاتبهم

على عدم تقديرهم واحترامهم لها، فمن يجهل مكانة "اللغة العربية "ولا يعرف دورها، لا يقيم لها وزنا، وينظر إليها نظرة احتقار وازدراء، ولا يتوانى في اتهامها.

2.4. اتهام "اللغة العربية ":

اتهمت "اللغة العربية "من قبل أهلها وأبنائها بتهم شتى، وهذا ما سعى إليه الاحتلال، الذي أوهم أهلها، أنها لغة عاجزة وغير قادرة على مواكبة التطور، فلم يتوان من اغتر بدعاية الاحتلال، في اتهام "اللغة العربية "بالقصور والضعف، ورماها بالعجز والعقم، وهذا ما أثبته الشاعر "مفدي زكريا " في قصيدته الشعرية (أيها المهرجان هذا نشيدي)، من ديوانه (اللهب المقدس)؛حيث قال: (مفدي ، 1983، الصفحات 189-190)

كَمْ رَمَاهَا ذَوُو الجَهَالَةِ، بِالعُقْـ ـــــم، سفاهًا، وَخِسة، و ضلالا
مَسَخُوهَا، وَشَوَهُوهَا، انْتِهَاكًا وَابْتَغُوهَا، سَخَافَةً وَابتِذَالاَ
جَهِلُوهَا، فَأَنكَرُوهَا... وُطعْمُ المَا ءِ مُرٌّ، لِمَنْ يَئِنُّ اعْتِلاَلاَ

ذكر "مفدي زكريا " في البيت الشعري الأول أن "اللغة العربية " قد اتهمت مرات عدة بالعقم من قبل ذوي الجهالة، فقال في صدر البيت الشعري الأول: (كَمْ رَمَاهَا ذَوُو الجَهَالَةِ، بِالعُقْمِ)؛ فهم لا يدركون مكانة لغتهم، وما كان اتهامهم هذا للغتهم إلا لرداءة تصرفهم، وقلة أدبهم، واستخفافهم بلغتهم، واحتقارهم لشأنها، وميلا وابتعادا عن جادة الصواب، وهذا ما بينه الشاعر "مفدي زكريا " في عجز البيت الشعري الأول، حيث قال: (سفاهًا، وَخِسة، وضلالا). ولم يتوقف أمر ذوي الجهالة عند حد اتهام "اللغة العربية " بالعقم، بل عمدوا إلى تغيير صورتها الأنيقة الجميلة وإفسادها، وهو ما أكده الشاعر "مفدي زكريا " في صدر البيت الشعري الثاني؛ فقال: (مَسَخُوهَا، وَشَوَهُوهَا، انْتِهَاكًا) وهذا خرقا لحرمتها وتعديا على حدودها وغدرا بها، وما كان فعلهم هذا، إلا لأنهم أرادوا "للغة العربية " أن تكون ضعيفة دنيئة لا قيمة لها ولا واعتبار، وهذا ما وضحه الشاعر "مفدي زكريا " في عجز البيت الشعري الثاني؛ قائلا: (وَابْتَغُوهَا، سَخَافَةً وَابتِذَالاَ).

يواصل الشاعر "مفدي زكريا " حديثه عن ذوي الجهالة، الذين جهلوا حقيقة "اللغة العربية "، ولم يعرفوا عظمتها، فتجاهلوها وأنكروها، فشبه حالهم هذه بحال المريض، الذي يجد طعم الماء مرا بسبب مرضه، فقد جعل "مفدي زكريا " "اللغة العربية " بمثابة الماء العذب، الذي يثلج الصدر، وتقوم عليه الحياة، قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأنبياء: من الآية30]، وفي تشبيه "اللغة العربية " بالماء دلالة على رفعة "اللغة العربية " وأهمية دورها في الحياة، في حين شبه ذوي الجهالة، الذين يجهلون "اللغة العربية " بالمريض، الذي يتأوه ألما؛ فالمريض الذي يتألم بسبب علة أصابته، لا يحس بعذوبة الماء، بل يجده مر المذاق، مع أن الماء لا طعم له، فالمرارة إذا ليست في الماء وإنما هي في المريض، وسبب هذه المرارة هو المرض، وهي الحال ذاتها عند من يجهل "اللغة العربية "؛ فينكرها بجهله، لكن "اللغة العربية " موجودة ومعترف بها، وعليه فالعلة ليست في اللغة، وإنما في ذوي الجهالة، وهذه العلة هي الجهل والاعتقاد الخاطئ بحقيقة "اللغة العربية "، كعلة المرض بالنسبة للمريض.

لعل هذه الصورة التمثيلية التي ذكرها الشاعر "مفدي زكريا "،تجعل ذوي الجهالة يقارنون بين حال المريض وحالهم؛ فيعوا وضعهم ويقتنعوا بالحقيقة، ويدركوا أن العلة ليست في اللغة بقدر ما هي في أنفسهم، وهذا من شأنه أن يجعلهم يعدلوا سلوكهم ويغيروا من تعاملهم مع لغتهم؛ فيكفوا عن تهمهم الباطلة وتحقيرهم وإذلالهم للغتهم، بل يعترفوا بها ويقدروا قيمتها، وبهذا تسمو مكانة "اللغة العربية " في قلوب أبنائها، ويسعوا من أجل الحفاظ عليها والتمسك بها، والعمل على ازدهار "اللغة العربية "وتطويرها.

3.4. التخلي عن "اللغة العربية ":

لم يتوقف أمر "اللغة العربية " مع أهلها وأبنائها عند حد الاهمام وعدم الاهتمام- كما بين الشاعر "مفدي زكريا " في الأبيات الشعرية السابقة- بل تعداه إلى تركها والتخلي عنها، وهذا ما أكده الشاعر الجزائري "محمد العلمي " في قصيدته الشعرية (لا حياة إلا بالعلم)، التي أوردها "محمد الهادي السنوسي الزاهري" في الجزء الثاني من كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، إذ تحسر فيها الشاعر على حال قومه، الذين ساد فيهم الجهل، وعمت فيهم الأباطيل، وضاع منهم العز والمجد، بما في ذلك اللغة ، فقد أضاعوا حتى لغة دينهم، وهذا في قوله:(السنوسي الزاهري، 2007، صفحة 186)

آهٍ عَلَى لُغَةِ الإِسْـــلَامِ قَدْ تُرِكَتْ بَعْدَ الفخَارِ، وَكَانَتْ قُدْوَةُ الأُمَمِ

استهل الشاعر "محمد العلمي " بيته الشعري بلفظة التحسر (آه)، وفي هذا دلالة على حزنه العميق، وألمه شديد، لترك قومه "للغة العربية "، وما أدراك ما "اللغة العربية "، إنها اللغة التي اصطفاها الله تعالى لغة لكتابه الكريم، قال عز وجل:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة يوسف: الآية02]، وقال جل وعلا:﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورة الزخرف، الآية:03]، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[سورة طه: الآية113].

لقد اقترنت "اللغة العربية " بالإسلام، وتوطدت الصلة بينهما ؛ فلا يذكر الإسلام إلا وتكون "اللغة العربية " ماثلة، ولا تأتي "اللغة العربية " إلا ويحضر الإسلام، فهما كما قال "محمد البشير الإبراهيمي: "شيئان متلازمان حقيقة وواقعا، لا يمكن الفصل بينهما، ومحاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين" (الإبراهيمي، د ت ط، صفحة 222)، هكذا صارت "اللغة العربية " لغة الإسلام، وهذا ما ذكره الشاعر "محمد العلمي "في قوله: (لُغَةِ الإِسْلَامِ)، عسى ذكره للغة مقرونة بالإسلام، الذي له مكانته السامية في القلوب، يهز أعماق قلوب قومه، ويحرك مشاعرهم فيفيقوا من غفوتهم ويعودوا إلى صواب رشدهم، ويتذكروا أن هذه اللغة التي تركوها ليست أي لغة، إنها لغة دينهم، حيث يقول في صدر هذا البيت الشعري: (آهٍ عَلَى لُغَةِ الإِسْلَامِ قَدْ تُرِكَتْ)؛ ففي تضييع قوم الشاعر للغتهم "العربية " تضييع لدين الإسلام، وإذا ضاع دينهم ضاعوا، ولكن أن لهم أن يضيعوا دينهم ولغتهم العالمية الخالدة، التي تعد أفضل اللغات وأبينها، وهذا ما بينه الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في قصيدته الشعرية (يا معشر الطلاب)، حيث قال: (آل خليفة، 2010، صفحة 86)

لَا تُهْمِلُوا هَذَا اللِّســـَانَ فَفَقْدُكُمْ فِي فَقْدِهِ وَدَوَامُكُمْ بِدَوَامِهِ

يوصي الشاعر "محمد العيد آل خليفة " في هذا البيت الشعري، الطلاب والنشء عموما، بضرورة التمسك ب "اللسان العربي "، وعدم تركه وإهماله، وهذا ما يتضح في قوله: (لَا تُهْمِلُوا هَذَا اللِّسَانَ) لأن وجود الطلاب والنشء–والأمة عموما–مرهون بوجود "اللسان العربي "؛ فمصيرهم من مصيره، وهو ما أكده الشاعر "محمد العيد آل خليفة " بقوله: (فَفَقْدكُمْ فِي فَقْدِهِ وَدَوَامُكُمْ بِدَوَامِه)؛فإن هم تخلوا عنه وأضاعوه ضاعوا (فَفَقْدكُمْ فِي فَقْدِه)، وإن هم اهتموا ب "اللسان العربي "وحافظوا عليه، فسيكون بقاءهم واستمرار وجودهم (وَدَوَامُكُمْ بِدَوَامِه).

لقد كان أهل "اللغة العربية " والأجداد من قبل يفتخرون ويتباهون ب "اللغة العربية "بين اللغات، في ذروة مجدهم، إذ كانت أسوة للأمم وقدوة لهم، وهذا ما أشار إليه الشاعر "محمد العلمي " في عجز البيت الشعري؛ حيث قال: (بَعْدَ الفِخَارِ، وَكَانَتْ قُدْوَةُ الأُمَمِ)؛ إذ ساروا على نهجها وتتبعوا آثارها، من أجل النهوض والارتقاء بلغاتهم.

إن الشاعر " محمد العلمي " في هذا البيت الشعري يتأوه ألما، لما صارت عليه لغة الإسلام في زمانه، إذ تركها أهلها، بعد ما كانت هذه اللغة من قبل في عز مجدها، وأبهى صورها ومحط أنظار غيرها، فكيف كانت "اللغة العربية " عند السابقين وكيف صارت عند اللاحقين؟

إن حديث الشاعر "محمد العلمي "عن قضية ترك "اللغة العربية " والتخلي عنها من قبل أهلها، شاركه في الحديث عنها الشاعر "مفدي زكريا "، في أبيات من قصيدته الشعرية (أيها المهرجان هذا نشيدي)، الواردة في ديوانه (اللهب المقدس)، إذ بين مآل التخلي عن لغة الأجداد؛ فقال:(مفدي ، 1983، صفحة 190)

ذَلَّ شَـــعْبٌ لَمْ يَتَّخِذْ لُغَةَ الأَجْدَا ... دِحِصـــنًا... وَرَامَ عَنْهَا انْفِصـــالاَ

وَعُقُوقُ البَنِينِ أَعْظَمُ خَطْبٍ ... يُرْهِقُ الشَّـــعْبَ ذِلَّةً وَنِكَالاَ

يؤكد "مفدي زكريا " في البيت الشعري الأول، أن الذل والهوان هو مصير أي شعب، لم يجعل لغة الأجداد حصنا ودرعا واقيا له، وهذا في قوله: (ذَلَّ شَعْبٌ لَمْ يَتَّخِذْ لُغَةَ الأَجْدَادِ حِصْنًا)؛ فالشعب الذي لم يحتمي بلغة الأجداد وعمل على التخلي عنها، وسعى للانفصال عنها، كما يقول الشاعر "مفدي زكريا ": (وَرَامَ عَنْهَا انْفِصَالاَ)، وترك استعمالها؛ فمصيره الذل لا محالة، فما ذلّت لغة قوم إلا ذل، فلغة الأجداد هي الحصن المنيع الذي يحتمي به الشعب(أباء وأبناء)، فيبقى في مأمن وأمان، يسوده السلم والسلام؛ فلغة الأجداد إذا هي التي تضمن للشعب بقاءه واستمراره؛ فهي التي تحقيق له وجوده، وتثبت له شخصيته في حاضره، كما تمكّنه من الامتداد نحو المستقبل .

جعل الشاعر "مفدي زكريا " في البيت الشعري الثاني ترك الشعب للغة الأجداد، بمثابة عقوق للوالدين؛ فقال: (وَعُقُوقُ البَنِينِ أَعْظَمُ خَطْبٍ)؛ إذ أنزل الشاعر "مفدي زكريا " "اللغة العربية " منزلة الوالدين، وجعل المتكلمين بمثابة الأبناء، وفي هذا دلالة على مكانة وقيمة "اللغة العربية " أولا؛ فهي كالأم بالنسبة للمتكلمين بها، وعلى خطورة ترك اللغة وعصيانها ثانيا، فإذا تخلى عنها أبناؤها واستخفوا بقيمتها ونسوا فضلها ، فهذا أشد الأمور وأعظمها، إذ جعله الشاعر "مفدي زكريا "(أَعْظَمُ خَطْبٍ)، ولا يؤدي إلاّ إلى إتعاب الشعب وجعله يعيش في الذلة والمهانة، وهذا ما أكده الشاعر "مفدي زكريا "في قوله: (يُرْهِقُ الشَّعْبَ ذِلَّةً وَنِكَالاَ)؛ فلا يعرف الشعب في حياته، إلا الأذى والإساءة .

لعل ذكر الشاعر " مفدي زكريا " لحال المهانة والضياع الذي يلحق الشعب، جراء تخليه عن لغة الأجداد، وتعظيمه لأمر تركها، يجعل الشعب يدرك خطورة تركه للغة الأجداد، فهو كما يقول " الرافعي ": " إذ انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه" (الرافعي، 2003، صفحة 22)؛ فاللغة هي التي تربطه بماضيه حيث جذوره وتاريخه، وفي قطع صلته بلغته تنقطع صلته بماضيه، فيبقى بلا تاريخ ولا هوية؛ فيعي الشعب بذلك عواقب تخليه عن لغة الأجداد، فيقلع عن أمره ويعود ليتمسك بلغة أجداده، لغة هويته وانتمائه، فباللغة يحيا الشعب حياته بكل حرية واستقلالية، وتتحقق هويته في الحياة.

إن قول "مفدي زكريا " الشعري، حتى وإن كان قد قاله في وقته وزمانه ، وَوُجِه لشعبه ، إلا أنه قول يصدق على كل الأزمنة، ويوجه إلى أي شعب كان، فشعره هذا يعد من "الكلام الخالد [الذي] لا يخص شعبا بعينه بل يتناول كل أمة في محيطها" (السنوسي الزاهري، 2007، صفحة 123)، وهذا لأن الشاعر "مفدي زكريا " أقرّ بحقيقة لا جدال فيها، وهي مآل التخلي عن لغة الأجداد .

إن ما فعله الاحتلال الفرنسي ب "اللغة العربية " في الجزائر، هو أمر متوقع من أي محتل، فهو يسعى دوما ومنذ البداية، إلى القضاء على أهم المقومات الشخصية للشعب الذي يحتله، حتى تسهل السيطرة عليه، وعلى رأسها اللغة والدين. أما ما فعله الأبناء ب "اللغة العربية "، فهذا أمر غير متوقع ويؤسف له، كما يعد ظلما "للغة العربية "، وهذا وقعه أشد وأثره أعظم، كما قال الشاعر "طرفة بن العبد " في معلقته: (بن العبد، 2006، صفحة 36)

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَـــدُ مَضَـــاضَـــةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُســـَامِ المُهَنَّدِ

إن حديث الشاعر الجزائري الحديث في قصائده الشعرية، عن تخلي أبناء "اللغة العربية " عنها، لا يعني أن جميع الأبناء قد تنكر وتخلى عنها، بل هناك من تمسك بها ودافع عنها، وكان محبا لها.

5. حب "اللغة العربية ":

أحب أبناء الجزائر "اللغة العربية "، فتفانوا في صونها وخدمتها، وفي مقدمتهم "عبد الحميد بن باديس "، و "البشير الإبراهيمي "، و "محمد العيد آل خليفة "، و "مفدي زكريا " وغيرهم، وقد صرح الشاعر "مفدي زكريا " بحبه "للغة العربية " أو"الفصحى"-كما آثار الشاعر تسميتها- في قصيدته الشعرية (هنيئا...بني أمي...)، من ديوانه (اللهب المقدس)؛فقال:(مفدي ، 1983، صفحة 321)

تَعَلَّقْتُ بِالفُصْـــحَى، فَأُشْـــرِبْتُ حُبَّهَا وَأَرْغمْتُ فِيهَا، أَنْفَ مَنْ يَتَحَدَانِي

صرح الشاعر "مفدي زكريا " في هذا البيت الشعري بحبه الشديد "للفصحى "، التي تعلق بها أيما تعلق، وهذا في قوله: (تَعَلَّقْتُ بِالفُصْحَى)، ومن شدة تعلقه بها فقد أحبها، وحبه لها كأنما شربه كما يشرب الماء – أو أي سائل آخر- وهو ما بينه الشاعر "مفدي زكريا "في قوله: (فَأُشْرِبْتُ حُبَّهَا)، وقد اختار الفعل(أُشْرِبْتُ)، المشتق من الفعل الثلاثي(شرب)، الذي يحيل إلى عملية الشرب، للدلالة على سهولة وسرعة تمكن حب "اللغة العربية " من فؤاد الشاعر، فقد تغلغل حبها في فؤاده فخالطه حتى ملك شغافه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن استعمال الشاعر "مفدي زكريا " للفعل (أُشْرِبْتُ)

بصيغة المبني للمجهول دلالة على أن حبه "للفصحى "لا خيار له فيه، فهو خارج عن إرادته وأقوى منه، وكأن غيره أشربوه حبها، وهذا لأنها أهل لأن تحب وتتشربها القلوب.

من شدة حب الشاعر "مفدي زكريا " "للفصحى" فقد أتقنها أيما إتقان، فامتلك بذلك ناصية اللغة والبيان، مما جعله يتفوق على كل من يتحداه في مجال "اللغة العربية"، وهذا ما يتضح من قوله:(وَأَرْغمْتُ فِيهَا، أَنْفَ مَنْ يَتَحَدَانِي)، لقد أقر الشاعر " مفدي زكريا " بتعلقه وحبه "للفصحى"، وتفوقه على كل من يتحداه، وهذا ما يؤكده حديثه بضمير المتكلم (أنا)، الذي يدل عليه كل من الضمير الظاهر المتصل، وهو تاء الفاعل(ت)، التي تكرر ذكرها ثلاث مرات في الأفعال الآتية: (تَعَلَّقْتُ، أُشْرِبْتُ، أَرْغمْتُ)، فتاء الفاعل(ت) في هذه الأفعال الثلاثة، تـــأكد على الحضور القوي للشاعر "مفدي زكريا"، وقوة حديثه عن لغته، وكذلك الضمير الظاهر المتصل ياء المتكلم (ي)، في الفعل (يَتَحَدَانِي)، فياء المتكلم(ي) المتصلة بالفعل المضارع (يتحداني)، والتي تحيل إلى الشاعر "مفدي زكريا"، فيها دلالة على شجاعة الشاعر ومقدرته الفذة؛ إذ لا يجاريه أحد في ميدان لغته "الفصحى"، إلا وتفوق عليه، وفي هذا اعتراف وتأكيد من الشاعر "مفدي زكريا " على حبه "للفصحى "، ونبوغه فيها.

يعد الشاعر الجزائري "أحمد سحنون " أيضا، من محبي "اللغة العربية "؛ إذ خص "اللغة العربية " بقصيدة شعرية كاملة تحت عنوان (لغتي!)، وفي هذا العنوان تظهر ياء المتكلم(ي) المضافة إلى كلمة (لغة)، فياء المتكلم(ي) باعتبارها ضميرا ظاهرا متصلا تحيل إلى الشاعر "أحمد سحنون "، الذي تكلم عن لغته بنفسه، فأضافها إليه، فقال:(لغتي)، وهذا حتى يعبر عن شدة ارتباطه وتعلقه بلغته.

تتجلى أيضا في عنوان هذه القصيدة الشعرية (لغتي!)، علامة التعجب أو الانفعال(!)، التي وظفها الشاعر "أحمد سحنون"، ليعبر بها عن تعجبه من عظمة لغته رفعة شأنها، من جانب، وتأثره وحيرته من واقع لغته في زمانه، من جانب آخر، إضافة إلى إثارته انتباه المتلقي– القارئ– إلى هذه العلامة، التي تثير في نفسه تساؤلات عدة حول لغة الشاعر "أحمد سحنون".

هكذا يكون عنوان القصيدة الشعرية (لغتي!)، قد حمل دلالات عدة، أثبتت شدة صلة الشاعر ب "اللغة العربية " وتمسكه بها، فصارت وكأنها ملكا له، كما بينت تعجب الشاعر "أحمد سحنون" من أمر لغته، ويزيد هذه الدلالات تأكيدا قوله: (سحنون، 2007، صفحة 319)

"لُغَتِي " هَوَاهَا لِي نَشِيدْ!
حُبِي لَهَا أَبَدًا جَدِيدْ

لقد كرر الشاعر "أحمد سحنون " في مستهل هذا المقطع الشعري كلمة (لغتي)، التي هي كلمة عنوان قصيدته الشعرية (لغتي!)، وفي هذا التكرار تأكيد منه على تمسكه الشديد "باللغة العربية "، التي يريد أن يظل مرتبطا بها، ورغبته القوية في الحضور في قصيدته الشعرية وهو متصل بلغته (لغتي)؛ إذ صرح بحبه لها، فقال: ("لُغَتِي " هَوَاهَا لِي نَشِيدْ!)؛ فقد صار حب "اللغة العربية " وشداها نشيدا له، يتغنى ويترنم به صباحا ومساء.

إن الملاحظ على قول الشاعر "أحمد سحنون" في هذا السطر الشعري، هو إعادة استعماله لعلامة التعجب أو الانفعال(!)- بعدما كان قد وظفها في عنوان قصيدته الشعرية(لغتي!)- وفي هذا التكرار لهذه العلامة، تأكيد من الشاعر على تعجبه وتأثره بهوى لغته الذي ملك قلبه، وغمر نفسه بالغبطة والسرور؛ فصار بالنسبة له نشيدا يشدو ويتغنى به.

بين الشاعر" أحمد سحنون" أيضا، أن حبه "للغة العربية " دائما جديد؛ وهذا في قوله: (حُبِي لَهَا أَبَدًا جَدِيدْ)؛ فحبه "للغة العربية " متجدد باستمرار، فلا يبلى ولا يفتر بمرور الأيام، وتوالي الشهور، ومضي الأعوام، بل إن حبه للغته دوما في أقصى توهجه وأشد بريقه.

من حق "مفدي زكريا "و"أحمد سحنون " وغيرهما، أن يعتز ويفتخر بحبه للغة العربية" أو "للفصحى "، فكما يقول "نعمة رحيم العزاوي ": "من حق الإنسان أن يحب لغته وأن يعتز بها، اعتزازه بعرضه وكرامته، لأنها هويته التي يعرف بها" (العزاوي، 2004، صفحة 124)، وسلاحه الذي يدافع به عنها، ودفاعه عنها هو في الحقيقة دفاع عن نفسه وأمته، وإثبات لوجوده وشخصيته.

6.الخاتمة:

من خلال هذه النماذج والمحطات الشعرية الجزائرية، التي تم التوقف عندها، يتبين اهتمام الشاعر الجزائري الحديث ب "اللغة العربية "، التي رصد وضعها وعايش حياتها في الجزائر مرحلة مرحلة، فكان شعره سجلا حيا وصادقا، عكس بحق حقيقة واقع "اللغة العربية " في الجزائر؛ فقد تبين من خلال ما سبق ما يلي:

- دعوة الشاعر الجزائري الحديث إلى تعلم "اللغة العربية " وإتقانها، وهذا ما تجسد في شعر كل من الشاعر "محمد العيد آل خليفة "، و "محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي ".
- مقاومة الشاعر الجزائري الحديث للاحتلال الفرنسي في محاربته "للغة العربية "، ومنع تعليمها، إضافة إلى توعيته لشعبه بخطورة الإدماج، وضرورة النهوض واليقظة، وهو ما تجلى في شعر "عبد الحميد بن باديس "، و "محمد العيد آل خليفة " و "مفدي زكريا ".
- دفاع الشاعر الجزائري الحديث عن "اللغة العربية "، وتبرئتها من التهم التي وجهت لها من قبل أهلها، وإنذاره لشعبه بخطورة التخلي عنها، وعواقبه الوخيمة، وفي المقابل حثه على التمسك ب "اللغة العربية " والحفاظ عليها، كما حفز شعبه للعمل بإتقان للنهوض بها، والسعي بجد لتطويرها، وهذا ما اتضح من شعر كل من الشاعر "محمد اللقاني بن السايح "، و "محمد العلمي "، إضافة إلى "محمد العيد آل خليفة " و "مفدي زكريا ".
- تعبير الشاعر الجزائري الحديث عن حبه "للغة العربية " أو "الفصحى "، وهذا ما صرح به كل من الشاعر "مفدي زكريا "، و "أحمد سحنون ".

إن اللغة العربية " بالنسبة للشاعر الجزائري الحديث هي لغته التي لا لغة له غيرها؛ إنها اللغة التي تمثل شخصيته التي يحيا بها، وهويته التي يعرف بها.

7. قائمة المراجع

1. أحمد سحنون .(2007) .*ديوان الشيخ أحمد سحنون*.بني مسوس، الجزائر، ط2: منشورات الحبر،.
2. بلقاسم بن عبد الله.(2001) ..*دراسات في الأدب والثورة دراسة، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين*.الجزائر، *ط1*: مطبعة هومة.
3. زكريا مفدي .(1983) . *(ابن تومرت شاعر الثورة الجزائرية)، اللهب المقدس*.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
4. سعيد أحمد بيومي .(2002) .*أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها*.مصر، ط1: دار الكتب المصرية.
5. صالح خرفي. (د.س.ط.) *الشعر الجزائري*.الجزائر، بيروت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطابع الشروق.
6. طرفة بن العبد .(2006) .*الديوان، تحقيق: كرم البستاني*.بيروت، لبنان: دار صادر.
7. عبد الله حمادي .(2001) .*أصوات من الأدب الجزائري الحديث*.قسنطينة، الجزائر: دار البعث.
8. عبد الله ركيبي .(د ت ط) .*قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر*.الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
9. محمد الطمار .(1983) . *الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج*.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
10. محمد البشير الإبراهيمي.(د ت ط).*عيون البصائر مجموع المقالات التي كتبها افتتاحات لجريدة البصائر خاصة، تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي*.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
11. محمد العيد آل خليفة .(2010) .*الديوان*.عين مليلة، الجزائر :مكتب الدراسات، دار الهدى.
12. محمد الهادي السنوسي الزاهري .(2007) .*شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم: عبد الله حمادي ،ط2*.قسنطينة، الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.
13. مصطفى صادق الرافعي .(2003) .*وحي القلم*.بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
14. نعمة رحيم العزاوي .(2004) .*فصول في اللغة والنقد، ط1*.بغداد: المكتبة العصرية،دار المثنى.

1. Ahmed Sahnoon. (2007). Dīwān al-Shaykh Aḥmad Saḥnūn. Ahmed Sahnoon
2. Belkacem Ben Abdallah. (2001). Dirāsātfī al-adab wa-al-thawrahdirāsah, Publications of the Algerian Writers' Union. Algeria: Houma Printing House..
3. Moufdi Zakaria. (1983). (Ibn Tūmart shā‘ir al-thawrah al-Jazā’irīyah), al-lahab al-Muqaddas. Algeria: National Publishing and Distribution Company.
4. Saeed Ahmed Bayoumi. (2002). Umm al-lughātdirāsahfīKhaṣā’iṣ al-lughah al-‘Arabīyahwa-al-nuhūḍ bi-hā. Egypt:Egyptian Books House.
5. Saleh Kharfi. (n.d.). al-shi‘r al-Jazā’irī. al-Jazā’ir, Bayrūt : National Publishing and Distribution Company; Al-Shorouk Printing Press.
6. Tarafa ibn al-Abd. (2006). al-Dīwān, taḥqīq : Karam al-Bustānī. Beirut, Lebanon: Dar Sader.

7. Abdullah Hammadi. (2001). Aṣwāt min al-adab al-Jazā'irī al-ḥadīth. onstantine, Algeria: Dar Al-Baath.
8. Abdallah Rokaibi. (n.d.). Qaḍāyā' Arabīyah min al-shi'r al-Jazā'irī al-mu'āṣir. Algeria: Arab Book House for Printing, Publishing and Distribution.
9. Mohamed Al-Tammar.(1983). al-Rawābiṭ al-Thaqāfīyahbayna al-Jazā'irwa-al-khārij. Algeria: National Publishing and Distribution Company.
10. Mohamed Bachir Al-Ibrahimi. (n.d.). 'Uyūn al-Baṣā'irMajmū' al-maqālātallatīkatabahāafttāḥāt li-jarīdat al-Baṣā'irkhāṣṣah, taqdīm : Introduction by Ahmed Taleb Al-Ibrahimi. Algeria: National Publishing and Distribution Company.
11. Mohamed Al-Eid Al Khalifa. (2010). al-Dīwān. Ain M'lila, Algeria: Office of Studies, Dar Al-Huda.
12. Mohamed Al-Hadi Al-Senussi Al-Zahiri. (2007). shu'arā' al-Jazā'irfī al-'aṣr al-ḥāḍir, i'dādwa-taqdīm : Prepared and introduced by Abdullah Hammadi (2nd ed.). Constantine, Algeria: Dar Bahaa Al-Din for Publishing and Distribution.
13. Mustafa Sadiq Al-Rafi'i. (2003). waḥy al-Qalam. Beirut, Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
14. Ni'ma Rahim Al-Azzawi. (2004). fuṣūlfī al-lughahwa-al-naqd, Ṭ1. Baghdad: Al-Maktaba Al-Asriya; Dar Al-Muthanna.